جامعة أبو بكر بلقايد
كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإجتماعية
- 1 -
تلمسان

كلية العلوم الإنسانية و العلوم الإجتماعية
المجلس العلمي
جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان

5. دراسة "رالف لينتون" والشخصية الأساسية: (1893-1953)

يرى الأنثروبولوجيون المنتمون إلى مدرسة "الثقافة والشخصية" أنه لا يمكن تحديد الثقافة إلى من خلال البشر الذين يعيشونها. صحيح أن الفرد والثقافة يشكلان واقعين متمايزين لكن لا يمكن فصلهما عن بعضهما البعض ويؤثر أحدهما على الآخر، كما لا يمكن فهم أحدهما إلا في علاقته بالآخر.

لكن الأنثروبولوجيون لا يتوقفون إلا عند ما هو مشترك في نفس الفرد بين أعضاء الجماعة نفسها. في الواقع يتعلّق المظهر الفردي للشخصية بفرع معرفي آخر هو علم النفس. هذا المظهر المشترك في الشخصية يسميه "رالف لينتون" (1893- 1953) "الشخصية الأساسية" وهو يرى أنها تتحدد مباشرة بالثقافة التي ينتمي إليها الفرد.

إن "لينتون" لا يجهل تنوّع النفسيات (Psychologies) الفردية، ويظن أن مجموعة الاختلافات النفسية يمكن العثور عليها في أية ثقافة، وهو أمر يصح على ثقافة معينة. وما هو صحيح في هذه الثقافة أو تلك هو هيمنة هذا النمط أو ذاك من أنماط الشخصية.

وفي تطويره لأبحاث "بنديكت" و"ميد" رأى "لينتون" من خلال استطلاعاته المبدئية في جزر "ماركينز" و"مدغشقر"، أن كل ثقافة تفضّل من كل الأنماط الممكنة، نمط الشخصية التي تصبح عندها "عاديا"، أي متّفقا مع المعيار الثقافي، وبالتالي معترف به بأنه نمط عادي. هذا النمط العادي هو "الشخصية الأساسية". بمعنى آخر، هو "الأساس الثقافي للشخصية". فـ "رالف لينتون" يرى أن: "كل فرد يكتب هذه الشخصية من خلال منظومة التربية الخاصة بمجتمعه".

ولقد سعى "لينتون" لتجاوز المفهوم الجامد للشخصية الأساسية، وكان يؤاخذ "بنديكت" على الاختزال الذي كانت تقوم به من خلال ربطها الثقافة بنمط ثقافي واحد يرتبط بنمط سلوكي مهيمن؛ ويؤمن بأن الثقافة الواحدة من شأنها أن تتضمن في الوقت نفسه عدة "أنماط" عادية من الثقافة، لأن عدة منظومات قيمية تتعايش في عدد من الثقافات. ثم ينبغي النظر بعين الاعتبار – كما يقول "لينتون"– إلى تنوّع القوانين في كنف المجتمع الواحد. فالفرد غير

كلية
العلوم الإنسانية
و العلوم الإجتماعية

قادر على أن يجمع كل الثقافة التي ينتمي إليها، ولا يملك معرفة تامة بثقافته، كما أنه لا يعرف من ثقافته إلا ما هو ضروري له لكي يتوافق مع قوانينها (الجنس، العمر، الوضع الاجتماعي... الخ) ليقوم بأدوار اجتماعية تنتج عنها. ووجود قوانين مختلفة، يقود في نهاية الأمر إلى هذه التّنوعات الدالة إلى حد ما على الشخصية الأساسية، وهي الشخصيات القانونية. وتابع "لينتون" تفكيره حول الفعل المتبادل بين الثقافة والفرد، قائلا بأن الفرد ليس مستودعا سلبيا لثقافته.

6. دراسة "أبرام كاردينر" Abram Kardiner ونظرية البناء الأساسي للشخصية:

شكّل موضوع اكتساب الشخصية الأساسية من خلال التربية، معظم الأبحاث النوعية التي أجراها المحلّل النفساني والأنثروبولوجي المؤهّل "أبرام كاردينر" (1891-1981) الذي تعاون بشكل وثيق مع "لينتون".

ولقد درس كيفية تكوّن الشخصية الأساسية عند الفرد عبر ما يسميه "المؤسسات الأولية" الخاصة بكل مجتمع، وأوّلها العائلة والمنظومة التربوية، وكيفية تأثير هذه الشخصية على ثقافة الجماعة عبر إنتاجها عن طريق نوع من آلية الإسقاط "مؤسسات ثانوية" (منظومات قيم ومعتقدات على وجه الخصوص) تخص الإحباطات التي تسببها المؤسّسات الأولية التي تؤدي إلى تكوّن الثقافة بشكل ملموس.

وأضاف "كارد ينر" قائلا -حول الفعل المتبادل بين الثقافة والفرد- بأن الفرد ليس مستودعا سلبيا لثقافته. ويعرّف "كاردينر" "الشخصية الأساسية" على النحو التالي: "هي تمظهر سيكولوجي خاص يتعلق بأفراد مجتمع معين، ويتبدّى في أسلوب معيّن من السلوك الذي ينمّق الأفراد وتنوعاتهم (اختلافاتهم) بمقتضاه".

إن أي فرد كان، ولأنه فرد فريد في حد ذاته وله سماته الخاصة به - حتى لو كانت تلك السمات تتضمّن الشخصية الأساسية إلى حد ما- ويتمتع بقابلية أساسية- باعتباره كائنا إنسانا- على الابتكار، سيشارك (الفرد) في تغيير ثقافته بشكل لا يبدو في أغلب الأحيان ملحوظا، كما يشارك بعدها في تغيير الشخصية الأساسية. بعبارة أخرى، لكل فرد طبيعته الخاصة في فهم وعيش ثقافته مع بقائه مطبوعا بطابعها.

كلية العلوم الإنسانية و العلوم الإجتماعية - 1 -

إن تراكم التنوعات أو الاختلافات الفردية، بدءا بالموضوع المشترك الذي يكوّن الشخصية الأساسية، يسمح بتفسير التطور الداخلي لثقافة معينة، وغالبا ما يتم هذا التّطور وفق إيقاع بطيء.

ويعرّف "كاردينر" الشخصية كذلك بأنها تتحدّد من خلال النظم الأولية والتي تتمثّل في الأسرة والمعايير والتقاليد والتربية، وهي تحدّد بدورها المؤسسات الثانوية كالدين ونظام القيم، بحيث تحدّد بدورها تفاعل الفرد مع المجتمع.[1]

فإن النظم الأولية تلعب دورا جوهريا في تشكيل البناء الأساسي للشخصية وتمثّل تلك النّظم الوسائل التي تستخدمها الثقافة في التّأثير على الشخصية. وبعد أن يتكوّن البناء الأساسي للشخصية، يقوم هذا البناء بدور فعّال بالتأثير على الثقافة عن طريق النظم الثانوية ويحدّدها على أنها الأداة الشعبية والطقوس الدينية.[2]

ويرى صاحب نظرية البناء الأساسي للشخصية "كاردينر" أن أفراد المجتمع يشتركون في سمات معينة للشخصية، وأطلق على تلك السمات المشتركة البناء الأساسي للشخصية، وعرفها بأنها الأدوار الفعالة المتكيفة عند الفرد.

ويعطي "كاردينر" أهمية كبرى لمرحلة الطفولة المبكرة وما يتضمّنها من أنماط ثقافية في تشكيل البناء الأساسي للشخصية، ففي كل مجتمع توجد نظم تربوية يطبّقها الآباء في تربية طفالهم في مرحلة الطفولة رغم أنّه يوجد اختلافات فردية في تطبيق تلك النّظم.[3]

إن "كاردينر" يعتبر العلاقات بين الطفل ووالديه من بين العوامل المؤثّرة في تكوين شخصيته، وأن أسلوب ثقافة التربية عامل أساسي في تحديد الشخصية.

ويؤكد "كاردينر" أن هناك أنماط عامة تمثّل أكثر حالات السلوك تكرارا مثل: نظم الرضاعة، الفطام، نظام الثواب والعقاب، نظام التّدليل وما إلى ذلك من نظم خاصة بمراحل الطفولة، فإن فعالية النظم الاجتماعية والثقافية في هذه المرحلة تعتبر كعوامل حاسمة في

---

[1] – Jean Claude Filloux, La personnalité-Edition Delta PUF. Que sais je, 1957, P63.

[2]– عاطف وصفي، المرجع السابق، ص158.

[3]– المرجع نفسه، ص157.

جامعة أبو بكر بلقايد
كلية
العلوم الإنسانية
و العلوم الاجتماعية
تلمسان

تكوين شخصية الفرد.[1] فـ "كاردينار" يعرّف الشخصية على أنها "نسق دافعي إسقاطي يحدّد أساسا من خلال خصائص الموقف الطفلي للفرد.[2]

7. "روبرت إيدجارتون" (Robert Edgerton):

قام "روبرت إيدجارتون" (Robert Edgerton) بدراسة أربعة قبائل إفريقية، وكانت تنقسم من حيث العمل إلى رعاة ومزارعين. وقد وجد اختلافات في الشخصية ليس بين القبائل فحسب، وإنّما بين المزارعين والرّعاة. فقد أثبت أن الرّعاة يميلون إلى الفردية بينما المزارعين يرجعون إلى الجماعة لاستشارتها في اتخاذ القرارات.

وقد استنتج "ايدجارتون" أنه في حالة الاعتماد الاقتصادي على الرّعي فإن المجتمع يستطيع أن يحقق الشخصية المستقلة للذكور كسمة من سمات الشخصية، أو بمعنى آخر فإن الرّعاة يتّصفون باستقلال ذاتي كسمة من سمات شخصياتهم.

وبالتالي لا يمكن تفسير الشخصية الفردية بخواصها البيولوجية (كالجنس على سبيل المثال) بل بـ "النموذج الثقافي" الخاص بمجتمع معين، يحدّد تربية الطفل بدءا من اللحظات الأولى يتشبع الفرد بهذا النموذج عن طريق منظومة من المحرّضات والممنوعات المصاغة بشكل صريح أو غير صريح، تقوده بعد أن يصبح راشدا، للتّقيد بشكل لا واع بالمبادئ الأساسية للثقافة؛ وبالتالي هناك علاقة بين النموذج الثقافي ومنهج التربية ونمط الشخصية المهيمن.

8. شخصية سكان جزيرة "أوكيناوا "Okinawa اليابانية.

في عام 1954م، هاجمت السفن الأمريكية جزيرة "أوكيناوا "Okinawa اليابانية، وقصفت الجزيرة بأطنان من القنابل والنيران لتذوّب الصخور وتدمّر المغارات والكهوف التي كانت الملاذ الأخير للجنود اليابانيين وللسكان الأصليين، فرارا من الموت وفظائع الحرب وويلاتها. وبعد ثلاثة أشهر من القصف المركّز، دخلت القوات الأمريكية الجزيرة، واشتغل علماء النفس بدراسة أوضاع أسرى الحرب، وكانت دهشتهم كبيرة جدا عندما لاحظوا الفرق

---

[1]– سامية ساعاتي، المرجع نفسه، ص244.

[2]– علي عبد الرزاق جلبي، المرجع السابق، ص255.

جامعة أبو بكر بلقايد
كلية
العلوم الإنسانية
و العلوم الإجتماعية
- 1 -

الكبير في مستوى الاضطرابات النفسية بين الجنود اليابانيين وبين السكان الأصليين للجزيرة. كان الجنود يعانون حالات عصبية مرضية، واضطرابات انفعالية شديدة بدرجة أكبر بكثير من السكان الأصليين للجزيرة؛ علما أن الجنود اليابانيين كانوا من الرجال الأشداء والبواسل، ومن رجال الوحدات الخاصة الذين أعدّوا لشدائد الأيام.

لقد أبدى سكان الجزيرة المدنيون من شيوخ ونساء وأطفال قدرة هائلة على تحمّل ظروف المعركة ومحنتها، وبدرجة أكبر من الجنود. وانهمك علماء النفس والتربية في هذه الوضعية، لمعرفة الأسباب الحقيقية التي جعلت من السكان الأصليين المدنيين أكثر تحمّلا للصدمة من العسكريين، وكانت الفرضية الأساسية التي لجأوا إليها هي أن هذه الفروق تعود إلى أسلوب التنشئة الاجتماعية السائد عند السكان الأصليين للجزيرة، حيث لاحظ علماء النفس أنه يتميّز بمضامينه الديمقراطية والحرة.

فالأمهات في هذه المجتمعات يحملن أطفالهن حتى اللحظة التي يقرّر فيها الطفل السير على قدميه، والطفل يصل إلى مرحلة النظافة بصورة عفوية دون إكراه أو تعنيف، والآباء يغدقون حبا على أطفالهم بلا حدود، ويمنحونهم حركة كاملة في مختلف مسارات حياتهم، أثناء الرضاعة والمشي وضبط الإخراج والفطام، وينظرون إليهم بوصفهم كائنات ملائكية ذات طابع قدسي.

ومن هذا المنطلق، وعلى أساس هذه النتائج التربوية لنمط التنشئة الاجتماعية الحرة، انطلق الباحثون لتفسير القدرة الهائلة للسكان الأصليين على تحمّل صدمة الحرب وويلاتها بدرجة لا مثيل لها، مقارنة بما مُني به الجنود اليابانيون من إصابات نفسية بالغة الأهمية والخطورة.[1]

---

[1]– وطفة علي أسعد، بنية وإشكالية التسلّط التربوي في الوطن العربي، ص ص 65– 66، نقلا عن كتاب:
Frank. R. Donovan, éducation structure ou éducation libérale (Paris : Robert Laffont, 1968), p.74.

جامعة أبو بكر بلقايد
كلية العلوم الإنسانية و العلوم الإجتماعية
- 1 -
تلمسان

كلية العلوم الإنسانية و العلوم الإجتماعية
المجلس العلمي
جامعة أبي بكر بلقايد - تلمسان

المحاضرة الثالثة عشر.

أثر الثقافة في الشخصية:

لقد تبيَن أن الثقافة السَائدة في كل مجتمع من المجتمعات تمارس تأثيرا كبيرا على أفرادها من الناحية الجسمية والعقلية والمزاجية والأخلاقية.

1- أثر الثقافة في الناحية الجسمية:

أما فيما يتعلق بالناحية الجسمية، فإنه تبيّن أن الثقافة السائدة في شعب من الشعوب كثيرا ما تجبر الفرد على أعمال أو ممارسات قد تضر بالناحية الجسمية ضررا كبيرا فعلى سبيل المثال، كانت العادة في الصين في بعض الطبقات المرهفة، أن تثني أصابع الأنثى وتطوى تحت القدم، وتلبس حذاء ضيّقا لا يساعد على نمو قدميها، ويجعلها تمشي مشية خاصة. وكانت هذه المشية الخاصة في نظرهم، هي وصغر القدم من علامات الجمال، كما كانت دليلا على رفاهية صاحبتها وأنوثتها.[1]

ومعنى ذلك أن الجماعة التي يعيش الفرد بينها، والثقافة التي يترعرع فيها، هما اللّتان تحدّدان معايير الجمال، وتقرّران ما إذا كانت هذه الصفة الجسمية أو تلك ذات قيمة جمالية أم لا، وهو ما يتّضح عند بعض الشعوب التي تقوم ببعض الممارسات المؤلمة الضارة بالجسم كالتجويع أو التعطيش أو التعذيب الذي يقع على الأفراد في حفلات البلوغ أوالزواج، وكذلك ما تقوم به بعض الشعوب البدائية من مط الشّفة أو تشريط الوجه ... إلخ.[2]

وتختلف المجتمعات اختلافا واسعا في الصفات الجسمية المحتمل اعتبارها من صفات الجمال والجاذبية، فمعظم القبائل البدائية تعتبر السمنة من صفات الجمال والجاذبية.

كما أن ثقافة القوم هي التي تحدّد في كثير من الأحيان ميول الأفراد لبعض أنواع الأكل والشرب حتى ما كان منها ضارا بالجسم أو لا يفيده الفائدة المرجوة. وأكبر دليل على

---

[1] – , Sociology, New York, Houghton Mifflin, 1946, p.58. Ogburn and Nimkoff-

، نقلا عن :وسام العثمان، المدخل إلى الأنتروبولوجيا، الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، سوريا، ط 1، 2002.

[2]– سامية الساعاتي، الثقافة والشخصية، مرجع سابق، ص213 .

جامعة أبو بكر بلقايد
كلية
العلوم الإنسانية
والعلوم الإجتماعية
- 1 -

ذلك حب النّاس للشاي والقهوة والدخان والمشروبات الروحية، فهذه كلها ميول مكتسبة من البيئة ومن الثقافة. أي أنها ليست مقررة بالفطرة وحاجة الجسم الفيسيولوجية، بل ترجع في الغالب إلى السلوك الانسياقي الذي يجرف الفرد في تيار الجماعة.

2- أثر الثقافة على الناحية العقلية:

أما بالنسبة إلى ما تمارسه الثقافة من تأثير من الناحية العقلية والفكرية والمعرفية على الفرد، فيتّضح من خلال غرس الأفكار عند الطفل سواء في المجتمع البدائي أو المتحضر عن طريق الأسرة التي يعد من أهم وظائفها، مساندة التركيب الاجتماعي وتأكيده. فعلى سبيل المثال، نرى أن المعتقدات الدينية أو السحرية تختلف من المجتمع المصري إلى الأمريكي إلى الهندي.[1] بحيث تتدخل ثقافة القوم في مضمون أفكار الأفراد ومعتقداتهم وآمالهم ومخاوفهم وقيمهم بل في طرق تفكيرهم نفسها أيضا. فلا جدال في أنّ الثقافة تؤثر في الناحية العقلية للشخصية، خاصة الناحية المعرفية الفكرية.

3- أثر الثقافة في الناحية الانفعالية (المزاجية): Tempéramentale

التكوين المزاجي كالتكوين الجسمي، والقدرات العقلية المعرفية تعتبر المواد الخام التي يتكون على أساسها الخلق وأساليب السلوك. وتتضمن الناحية المزاجية، تلك الاستعدادات الثابتة نسبيا، المبنية على ما لدى الشخص من الطاقة الانفعالية والدوافع الغريزية التي يزوّد بها من بداية طفولته، والتي تعتمد على التّكوين الكيميائي والغدي والدموي، وتتصل اتّصالا وثيقا بالنواحي الفيسيولوجية والعصبية.

فالثقافة لا تقوم بتغيير نوع أو طبيعة الانفعالات، ولكنها تؤثر في كيفية التّعبير عنها، أي أنها تؤثر في تحديد وتعيين الظروف والمواقف التي تثيرها وفي اتّجاهاتها ودرجتها وقيمتها ... إلخ. فعلى سبيل المثال، نجد أن سكان جزر "الأندمان" و"الماوروى" في نيوزيلاند الجديدة يذرفون الدموع عندما يتقابل الأصدقاء بعد غياب أو عندما يصالح فريقان متحاربان. كما يرد الشخص الياباني عند تعنيف رئيسه له بابتسامة فقط.[2]

---

[1]- سامية الساعاتي، الثقافة والشخصية، مرجع سابق، ص213

[2]- المرجع نفسه، ص 215.

جامعة أبي بكر بلقايد
كلية
العلوم الإنسانية
و العلوم الإجتماعية
- 1 -
تلمسان

كما تختلف الثقافات في التعبير عن الانفعالات عند موت شخص عزيز، ومن الشعوب التي تبالغ جدا في إظهار الحزن، الشعب الصيني. ولهم مؤلفات كثيرة تحتوي على مجموعات مطوّلة من القواعد والنصوص التي تنص على كيفية التعبير اللائق عن الحزن. ومن هذه المؤلفات مؤلف يسمى "دراسات لازمة للسيدات".

ولقد أثبتت الدراسات الأنثروبولوجية أن العوامل الوراثية، وإن كانت تلعب دورا كبيرا في مزاج الشخصية وانفعالاتها، لا تقوم وحدها بالدور الحاسم. فالثقافة أيضا لها دور كبير في التأثير على الجانب العاطفي للفرد. فكثيرا ما تتفاعل عوامل المحيط الاجتماعي والثقافة مع هذا الجانب الانفعالي فتجعله يتشكّل ويتنوع تبعا لذلك.

4- أثر الثقافة في الناحية الخلقية:

أشرنا من قبل أن هناك صلة كبيرة وتداخلا مستمرا بين النواحي الخلقية والعقلية والمزاجية للشخصية، وأنه من الصعب أن نفصل بينهما، غير أنه من الواضح جدا أن النواحي الخلقية أقرب كثيرا من الناحيتين الأخريين للشخصية، إلى عوامل البيئة والوسط الاجتماعي والثقافة المهيمنة على الفرد.

فالنواحي المزاجية والعقلية هي المواد الخام التي تبنى عليها الصفات الخلقية، ولذا فإن الأخلاق السائدة في المجتمع هي المحصلة الناتجة من تفاعل القوى المزاجية والعقلية مع عوامل البيئة الاجتماعية والثقافية.

وكل ثقافة يسري فيها تيار أخلاقي خاص، ينساق فيه الفرد متأثرا بالمعايير الأخلاقية السائدة من ناحية الخير والشر والصواب والخطأ وما يجوز وما لا يجوز، والسلوك الشاذ في ثقافة ما قد يكون سلوكا عاديا بالنسبة لمعايير وقيم ثقافية أخرى.

فالسرقة مثلا، تعتبر من الجرائم في المجتمعات الحديثة ولكنها كانت مباحة في كثير من الشعوب البدائية والقديمة، حيث كانت تعتبر نوعا من البطولة.

وكذلك أكل اللحوم البشرية، أمر مقبول عند بعض القبائل، وثقافة "الإسكيمو" تبيح لهم قتل المسنين من أهلهم، وثقافة العرب في الجاهلية كانت تبيح لهم وأد البنات.

جامعة أبو بكر بلقايد
كلية
العلوم الانسانية
و العلوم الإجتماعية
تلمسان

وخلاصة القول أنه ثبت بالأدلة الأنثروبولوجية، أن كثيرا من الصفات الخلقية التي كان علماء النفس يعزونها إلى الفطرة والوراثة، ترجع إلى حد كبير إلى فوارق الثقافة، وعلى ذلك لم يعد صحيحا القول بأن المرأة بطبيعتها طيّعة وديعة سلبية، وأن الرجل خشن عدواني مسيطر، ففي قبيلة "تشامبولي" في غينيا الجديدة، يقوم الرجل بدور المرأة والعكس. فالصفات الخلقية يجب تفسيرها في إطار الثقافة التي تخضع لها.

جامعة أبو بكر بلقايد
كلية العلوم الإنسانية و العلوم الإجتماعية
- 1 -
تلمسان

كلية العلوم الإنسانية و العلوم الإجتماعية
المجلس العلمي
جامعة أبي بكر بلقايد - تلمسان

المحاضرة الرابعة عشر

الثقافة والشخصية الجزائرية.

بحكم وقوع المجتمع الجزائري تحت السيطرة الكاملة للاحتلال الفرنسي لمدة طويلة، لم تجر فيه أية أبحاث علمية موضوعية حول الشخصية الجزائرية ككيان مستقل- بمقوماته الثقافية- عن الشخصية الفرنسية، وذلك لأن المحتل الفرنسي كان يعتبر البلاد جزءا من فرنسا ترابا وشعبا، وبالتالي ظل يحظر على الباحثين الخوض في دراسة موضوع الشخصية القومية الجزائرية إلا من زاوية إثبات الأصل الأوروبي للمجتمع الجزائري، قبل اختلاطه بالعنصر العربي بعد الفتح الإسلامي... وذلك بهدف إبقاء المجتمع الجزائري غير شاعر بشخصيته المتميزة التي تؤكد لديه الشعور القومي، وتدفعه بالتالي إلى طلب الاستقلال، وهو ما كان يتفاداه المحتل الفرنسي بكل الوسائل، وقد انطلى الأمر حتى على بعض الجزائريين أنفسهم، الذين اعتقدوا بأن المجتمع الجزائري لا يعدو كونه أشتاتا من الشعوب المختلفة – بربرية وفينيقية ورومانية وعربية وتركية وفرنسية – لا تربط بينها رابطة ثقافية تجعلها ذات شخصية متميزة بخصائص معينة؛ وهذا ما كان يهدف المحتل الفرنسي إلى تأكيده دوما في أذهان الجزائريين، وما يزال حتى الآن.

ومن المبادئ التي كان يقوم المستعمر الفرنسي بتطبيقها في الجزائر هو محاولة التفرقة العرقية بين أفراده، حيث اعتبر أن المجتمع الجزائري مكوّن من عنصرين أو عرقين مختلفين كل الاختلاف، وهما العنصر البربري الذي يمتد بجذوره حسب الزعم الاستعماري إلى العرق الآري الذي استوطن بلاد الغال في أوروبا ووفد منها إلى شمال إفريقيا، والعنصر العربي الذي يعتبرونه وافدا على البلاد في غزوات همجية ما انفكت تتلاحق بعد الفتح الإسلامي، واستوطنت البلاد لتنافس أهلها الأصليين لقمة العيش، إلى أن جاء الفرنسيون – أبناء عمومة البربر – ليخلصوهم من وطأة الاحتلال العربي.

ومما أشار إليه الدارسون هو ما كان يقوم به أطباء نفسيون في عهد الاحتلال، ومن هؤلاء الطبيب الفرنسي "أنطوان بورو" (Antoine Porot1965 -1876) وزملاؤه الذين ينظرون إلى الجزائريين نظرة عنصرية، وأنهم "بدائيون "، "عدوانيون"، "متخلفون ذهنيا

جامعة أبي بكر بلقايد
كلية
العلوم الإنسانية
و العلوم الإجتماعية
- 1 -
قسم

وحضاريا"، ولقد تبنى "موريس بورو" الذي درس بجامعة الجزائر من 1958-1962، عنصرية والده "أنطوان"، وكان له عدة تلاميذ يحملون العنصرية في عقولهم والإيديولوجية الاستعمارية في عروقهم؛ ولذلك رد عليهم العالم الفرنسي فرانز فانون (1929-1961) وذكر أنهم نفوا كل قيمة أخلاقية عن الجزائريين، وأنهم مستودع القوى الشيطانية، ووصف الفرنسيون ممن يزعم العلم، الجزائريين بالوحشية والعنف المُتجذّر فيهم وراثيا وبيولوجيا، لتشويه صورة الجزائريين أبشع تشويه مع ادعاء العلم الكاذب.

ومن المؤكد أن هذه النزعة العنصرية ما تزال سائدة إلى الآن لدى بعض المثقفين المتأثرين بتلك الدراسات التي كانت تكرس هذا المفهوم لدى الجزائريين، ولم يدرس المجتمع الجزائري قط –في المقابل– كوحدة متكاملة انصهرت أجزاؤها بفعل عوامل فيزيقية واجتماعية وثقافية، صيرتها مجتمعا واحدا ذا ثقافة متجانسة العناصر في ثوابتها العامة، بحيث لم يعد فيها للأصل العرقي أي أثر بعد امتزاج ثقافي واجتماعي باهر بفضل الإسلام الصادق للسكان منذ قرون عديدة وحتى الساعة.

من هنا يتعين على كل محاولة علمية تتناول المجتمع الجزائري بالدراسة أن تتناوله كوحدة ثقافية يفترض أن تكون ذات سمات مشتركة تطبع الشخصية الجزائرية بطابع خاص، بقطع النظر عن الأصول العرقية لبعض أفراده، وذلك انطلاقا من أن بحث الشخصية القومية عن طريق الثقافة لا يدخل في حسابه إلا العوامل الثقافية المكتسبة، أما العوامل العرقية فهي غير مكتسبة وبالتالي فهي غير ثقافية، وتسقط من حساب الباحث في الأنثروبولوجيا الثقافة. إذ من الأمور التي لا جدال حولها في الأنثروبولوجيا – كما سبقت الإشارة – هو أن الثقافة هي المسؤول الأول على تحديد الشكل الرئيسي للشخصية القومية في أي مجتمع، وبالتالي يكون من الحتمي أن تختلف الشخصيات في بعض خصائصها باختلاف الثقافات، وطالما أن المجتمع الجزائري لم يعرف ثقافة واحدة طوال وجوده، فيكون من الأهمية بمكان تحديد السمات الأساسية للثقافة الغالبة التي كان لها الدور الرئيسي في تشكيل الشخصية الرئيسية للمجتمع، وهي كما يقول "رالف لينتون" (Linton. R) مجموعة من السمات الأكثر تكرارا بين أفراد المجتمع الواحد.[1] وقد ميّز الشكل الرئيسي للشخصية بأنه

[1] - Linton. R, The Culture Background Of Personality, Appleton Century Crofts Ins .N.Y. (1), 1945, P.123.

جامعة أبو بكر بلقايد
كلية
العلوم الإنسانية
و العلوم الإجتماعية
تلمسان

طابع يميّز معظم أفراد المجتمع، ويتمثل في مجموعة من القيم والاتجاهات العامة التي تتمركز في المستويات العميقة في شخصية الفرد، وتؤسّس تلك القيم والاتجاهات في الشخصية أثناء مرحلة الطفولة عن طريق اتصالات الطفل المستمرة والقوية بأعضاء أسرته ثم بأعضاء مجتمعه.

كما تؤكد العلامة "روث بيندكت" (Ruth Benedict) أن النمط الثقافي يكون له رد فعله العميق في تركيب سمات الشخصية، وقد تعتري الشخصية بعض الأمراض والانحرافات السلوكية نتيجة عدم التكيف مع الأوضاع الثقافية الجديدة أو المغايرة لثقافة الفرد، مما يحدث خللا حتميا في التوازن الاجتماعي.[1]

وانطلاقا من هذه المسلمة تتأكد أهمية دراسة الشخصية الجزائرية في الوقت الحاضر، لما طرأ على الثقافة الجزائرية من تغيرات أهمها مرحلة الاحتلال، والحروب التي تخلّلتها، ثم مرحلة الاستقلال التي تشكل انتقالا كليا أعقبه تغير ثقافي كبير، ولا شك أن لتلك التغيرات أثرا على السمات الرئيسية للشخصية الجزائرية، ذلك أن الشخصية ليست شيئا ثابتا أبد الدهر، بل هي عرضة للتطور والتغير بنفس النسبة تقريبا التي تتغير بها الثقافة السائدة، طالما أن الشخصية منتوج ثقافي بالدرجة الأولى كما هو معلوم.

ولما كانت الشخصية الجزائرية تتسم بمواصفات خاصة، فإننا سنحاول أن نلقي الضوء على بعض المحاولات التي اهتمت بفهم الشخصية المغاربية، علّنا نسهم بهذا في التمهيد لإرساء قواعد لنموذج يستوعب المكوّنات الأساسية للشخصية المغاربية، ومن خلالها الشخصية الجزائرية، ويطلعنا على تكوينها ودوافعها وأهدافها وغاياتها.

توصف الشخصية المغاربية من خلال النظرة الظواهرية بأنها شخصية مطبوعة بالجبرية ومذعنة للمكتوب؛ وتتمثل هذه الجبرية في الخضوع لنوع الفكر المشترك والدائم، يفرض على الفرد كقانون سامي وثابت، ويحدث عنده نوعا من اللاتمايز الانفعالي قد تتولد عنه ردود أفعال تكون متسمة بانفعال شديد.[2]

[1] - Benedict. R, Patters of Culture, Penguin N. Y n, 1946, P.39.
[2] - Mounier. B, Algérie, Algériens et transplantés, Thèse Med, Université Claude Bernard, Lyon I, 1974, p.129.

جامعة أبو بكر بلقايد
كلية
العلوم الإنسانية
و العلوم الإجتماعية
تلمسان

وأما عن الطبع والمزاج فأنه طبع غير ميال إلى التجريد ويهوى كثيرا التشبث بالواقع الحاضر؛ هذا الارتباط الشديد بالواقع الحاضر، وهذه الذهنية الإسقاطية التي تميز الشخصية المغاربية تجعلها معرضة لتفكك انفصامي (انطواء، عدم الاهتمام، لامبالاة عاطفية)، ولتقلبات مزاجية موسومة بقابلية للإيحاء؛ هذا التفسير الذي يندرج في إطار نظرة ظواهرية غير علمية يبقى جزئيا وسطحيا وأحيانا غامضا.[1]

وهو تفسير يبدو أنه لم ينج من تأثير الفكر القديم الذي كان يقسّم النفسيات إلى عملية وأخرى تجريدية عقلانية متطورة. بالإضافة إلى هذا فإن هذه النظرة تحمل في طياتها ما يناقض المعطيات البديهية الخاصة بالشخصية المغاربية التي تميل إلى النزعة الاجتماعية أكثر منها إلى الفردانية.

أما النظرة التكوينية العضوية فتجعل من الشخصية المغاربية شخصية يحكمها "الطبع العرقي" وتتميز بسمات تتمثل خاصة في القابلية للإيحاء والاندفاع وسرعة التصديق. وهي الخصائص التي تدفع بها إلى التأثر بالشعوذة والاهتمام بالحركات والأعراق والطقوس.....

هذه الرؤية التي كانت تتبناها مدرسة "بورو" (A. Porot) تبقى هي الأخرى كما يؤكد "بتلوليي" خاضعة لزمانها ومعتمدة على أعمال "بلوندال" (Blondel. M) و"ليفي بروهل" (Levy Bruhl) ومرتبطة بالنظريات التكوينية التي كانت سائدة في مطلع القرن.[2]

هذه النظريات التكوينية التي اعتمدت عليها مدرسة "بورو" لتدعيم آرائها حول الشخصية المغاربية والتي ظلت متداولة حتى بداية الستينيات تجاهلت بالكلية المرجعية للوسط الثقافي الاجتماعي لهذه الشخصية.[3] وهي النظرة التي عارضها "فرانتز فانون" (Fanon) في كتاباته المختلفة، مبيّنا بأن الوضع الاجتماعي المزري الذي كان يعيشه الفرد المغاربي وبخاصة في الجزائر هو الذي يفسر مختلف الظواهر النفسية والمرضية التي تتميز بها الشخصية المغاربية.

---

[1]- Ibid. p.131.
[2]-Berthe lier. R, Tentative d'approche socioculturelle de la psychopathologie Nord-africaine, Psychopathologie africaine, Sénégal, 5,N°2,1969, pp.171-222.
[3]- Ibid, p.173.

كلية
العلوم الإنسانية
و العلوم الاجتماعية

بناء على ما تقدم لم يعد علم النفس في العقود المتأخرة يغفل البعد الثقافي والاجتماعي في دراسته لموضوع الشخصية المغاربية –الجزائرية– لأنه اقتنع بأنه لا يمكن فهم عدد كبير من المظاهر النفسية إلا في سياق المرجعية الثقافية التي ترتبط بها هذه الشخصية. فالارتباطات وثيقة في نظره بين الثقافة والبنية الاجتماعية والشخص.

ولهذا نجده قد عمد إلى مراجعة وتعديل الرؤى السابقة التي أشرنا إليها وتبني بكل وضوح التناول الثقافي الاجتماعي من أجل الكشف عن السمات الأساسية للشخصية الجزائرية.

في ظل هذه التجربة الجديدة ظهرت محاولات ترمي إلى تحديد ملمح الشخصية الجزائرية بصفة موضوعية. وتكمن قيمة رسم هذا الملمح في الاعتماد على منهجية تظهر حريصة منذ البداية على تحقيق جملة من الفوائد العلمية والعملية بهدف التوصل إلى نتائج تتسم بأكبر قدر من الدقة والموضوعية، لتصحيح بعض المغالطات والمفاهيم السائدة حول الثقافة والشخصية الجزائرية القائمة على مسلمات خاطئة وأفكار مسبقة تحت غطاء البحث العلمي.

فالشخصية الجزائرية بسماتها الأساسية والثابتة لا يمكن أن تتجلى بصدق ووضوح للباحث ولا يمكن أن يفهمها بعمق إلا إذا انطلق من الثقافة. فالثقافة حسب الأستاذ "أحمد بن نعمان"، صاحب كتاب "نفسية الشعب الجزائري"، الصادر عن دار الأمة، سنة 1997، هي التي تساعد على فهم الشخصية وليس العكس. لأن الثقافة تعتبر بعدا أساسيا من أبعاد الشخصية. ومن ثم فإن المهتم بدراسة الشخصية يجد نفسه مضطرا للتعامل مع هذا الموضوع من خلال رؤية تكاملية تأخذ بعين الاعتبار كل من علم النفس وعلم الاجتماع وعلم الأنثروبولوجيا.

وفيما يتعلق بموضوع هذا الكتاب –نفسية الشعب الجزائري– فإنه يجمع بين طرق بحث الأنثروبولوجيا الثقافية، وطرق بحث علم النفس الشخصية، وتتخلص أهم تلك الطرق في ملاحظة السلوك ودراسة سير الحياة وتفسير الأحلام والاختبارات الإسقاطية ودراسة الأدب الشعبي. وتمشيا مع طبيعة المدخل المحدد لدراسة الشخصية الوطنية للمجتمع

جامعة أبو بكر بلقايد
كلية
العلوم الإنسانية
و العلوم الإجتماعية
تلمسان

الجزائري من خلال الأنماط الثقافية السائدة، تم اتباع المنهج التحليلي لمضمون الأمثال الشعبية وذلك للأسباب التالية:

- إن الأدب الشعبي من أبرز مظاهر الثقافة في المجتمع وأهم سجّل لها رغم حركتها وتغيرها المضطرد، وهو نابع من واقع البيئة التي يعيش فيها المجتمع، ومحفوظ في الذاكرة الشعبية بلغة المجتمع المدروس، وبالتالي فهو يحافظ على السمات الأساسية لشخصية المجتمع، رغم كل التغيرات التي تطرأ عليها نتيجة العوامل المختلفة التي يتعرض لها.

- للأدب الشعبي علاقة قوية بالنظام التربوي السائد في المجتمع، والذي بفضله تنتقل الثقافة بكل مظاهرها المعنوية كاللغة والدين وأنماط السلوك الخلقي وظواهر الفكر العليا بتصوراته ومقولاته .. والمادية كالتكنولوجيا والمعارف العلمية والمهارات اليدوية وكيفية المعيشة .. من جيل إلى جيل.

- وللأدب الشعبي أيضا علاقة عضوية بلغة المجتمع المدروس، واللغة كما يؤكد "مالينوفسكي" (Malinowski. B) هي أهم الظواهر الثقافية باعتبارها خاصية إنسانية، ومن ثمة فهي مفتاح الثقافة في أي مجتمع، ومعرفة الباحث للغة الأدب الشعبي في الجزائر بلهجاتها المختلفة تجعله يتفادى الخطأ الشائع الذي يقع فيه الكثير من الأنثروبولوجيين الذين يعتمدون على المترجمين والشارحين، ذلك أن علم اللغة يثبت أن الكلمة ليست مجموعة من الحروف الجامدة والأصوات الجوفاء، وإنما هي كائن حي يحمل الكثير من المعاني، ولا يؤدي الاعتماد على الترجمة الحرفية إلى التوصل إلى مضامين الكلمات، وفحوى اللهجات المتداولة داخل الوطن، وخاصة البربرية أو الأمازيغية منها.

- إمكانية جمع أكبر رصيد ممكن من مادة الأدب الشعبي المتداول في المجتمع المدروس وتحليله، وإجراء المقارنة لملاحظة مدى التطابق في الواقع العلمي بين القيم المتضمنة في الأدب الشعبي، والقيم السائدة في أنماط السلوك المختلفة لأفراد المجتمع.

وفضلا عن الأسباب المذكورة، فقد تبين أن أكثر الاتجاهات انتشارا في أبحاث الثقافة والشخصية هو الاتجاه التحليلي للأدب الشعبي في مجتمع ما، ويقوم هذا التحليل على

جامعة أبو بكر بلقايد
كلية
العلوم الإنسانية
و العلوم الإجتماعية
- 1 -
تلمسان

افتراضين اثنين:

أ- وجود شخصية رئيسية في المجتمع قيد البحث.

ب- إن التكامل الثقافي يميل إلى تأكيد نوع من الثبات والتماسك في الأدب الشعبي، وبالتالي يمكن للباحث استنتاج بعض السمات وخصائص الشخصية للمجتمع قيد البحث عن طريق تحليل المضمون لأدبه الشعبي.

والخلاصة أن الأدب الشعبي يعبر إلى حد بعيد عن قيم وشخصية المجتمع صاحب الثقافة قيد البحث، وهي حقيقة أكدها الكثير من العلماء ومنهم الأنثروبولوجي الكبير "بواز" (Boas. F) في كتابه " ثقافة كيوكيوتل ممثلة في الأساطير" والعلامة "مارقوريت لانتيس" (Marguerite. L) في دراستها لبعض جماعات الأسكيمو في ألاسكا. وقد توصلت هذه العالمة إلى نتائج هامة تحدد السمات الرئيسية لشخصية تلك الجماعة، من خلال تحليل الأدب الشعبي السائد بين أفرادها، وهناك دراسات مماثلة كثيرة حول هذا الموضوع.

ومن منطلق تحليل مضمون الأمثال الشعبية السائدة في المجتمع الجزائري والعاكسة للسمات الأساسية للشخصية الجزائرية، وبالاعتناء كذلك بملاحظة سلوكات الأفراد الذين يتصفون بهذه السمات، تم التوصل في نهاية المطاف إلى تحديد مجموعة من هذه السمات، حصر أهمها في أربع وأربعين سمة مرتبة على النحو التالي:

1- الصراحة.
2- حب الوضوح.
3- الصدق.
4- التمسك بالأصول (العرف المستقر).
5-الواقعية.
6- مقت الادعاء والتظاهر.
7- القناعة.
8- سرعة التكيف مع الأحوال المستجدة.
9- نشد الكمال والحلول الجذرية.
10- المثابرة.

جامعة أبو بكر بلقايد
كلية العلوم الإنسانية و العلوم الإجتماعية
- 1 -
تلمسان

11- الجد.

12- سرعة المبادرة.

13- الاهتمام بجواهر الأمور.

14- التحدي.

15- المعاملة بالمثل.

16- التكتم والعمل في صمت.

17- مقت الثرثرة والكلام الزائد.

18- الانطواء على الذات.

19- كره التطفل والفضول.

20- الاعتماد على النفس.

21- الصبر.

22- عزة النفس والأنفة.

23- الشعور بالمسؤولية وتقبل نتائج الأفعال.

24- التخطيط للمستقبل.

25- الاتعاظ من دروس الماضي.

26- الاتزان في إصدار الأحكام على الغير.

27- تقدير العامل المادي (المال) في حياة الإنسان.

28- التعاون على أساس المصالح المشتركة.

29- التدين.

30- الإيمان بالقضاء والقدر.

31- الاعتقاد في الحظ.

32- حب العدل والمساواة.

33- الوفاء والاعتراف بالجميل لأهل الفضل.

34- المحافظة على السمعة والاستماتة في الدفاع عن الشرف.

35- التأسي بالقدوة الحسنة.

36- التمسك بمطابقة الأقوال للأفعال.

جامعة أبو بكر بلقايد
كلية العلوم الإنسانية و العلوم الإجتماعية
- 3 -
تلمسان

37- حب العلم والمعرفة.

38- استحسان الكلام الطيب والتأثر به.

39- الحساسية وعدم تقبل النقد.

40- العصبية (النرفزة) وسرعة الانفعال.

41- الاندفاع.

42- التعصب للرأي والموقف.

43- الغرور.

44- حب الإشراف والاستنكاف عن العمل اليدوي.

وهي السمات التي تنطبق في نظر الباحث على أكبر نسبة من أفراد المجتمع الجزائري في تلك الفترة التي أجري فيها البحث وهي قابلة للتحول إذا ما تغيرت الأسباب والعوامل التي أدت إلى وجودها. وما يميز هذه السمات أنها تلتقي في بعضها مع سمات الشخصية "القومية"، مما يؤكد وحدة المنبع الثقافي والحضاري، ولكنها تختلف معها في أخرى بحكم عوامل هي خاصة بالمجتمع الجزائري.

ومن هذه السمات التي تتميز بها الشخصية الجزائرية عن الشخصية العربية يذكر الباحث عشر سمات: الصراحة، الانطواء على الذات، العمل في صمت، الاندفاع، النرفزة والانفعال، الحساسية وعدم تقبل النقد، التعصب والتشبث بالرأي والمبدأ، الاتعاظ من دروس الماضي، الاعتماد على النفس، نشد الكمال والحلول الجذرية.

ولعل ما يلفت الانتباه في هذه الدراسة أن السمات التي كشفت عنها جاءت لتثبت بالفعل أن الشخصية الجزائرية تتسم بخصائص مميزة وبطبع مزاجي خاص، ومن هذه السمات، الانفعال والاندفاع والتعصب للرأي.

الشيء الآخر الذي تكشف عنه هذه الدراسة هو التأكيد على بعض السمات التي تبرز العلاقة الوطيدة التي تجمع الفرد المغاربي والجزائري بمرجعيته الثقافية وتمسكه بأصول الجماعة وأعرافها. ومن هذه السمات التي تظهر في هذه الدراسة وتدل على هذا المعنى نجد التعاون، عزة النفس والأنفة، التدين، المحافظة على السمعة والاستماتة في الدفاع عن

جامعة أبو بكر بلقايد
كلية
العلوم الإنسانية
و العلوم الإجتماعية
- 1 -

الشرف، والتمسك بالأصول.

فالشخص المكتمل خِلقيا وخُلقيا، الناضج عقليا أو المتزن نفسيا والمقبول اجتماعيا هو الذي تتوفر فيه مجموعة من الصفات تحددها المرجعية الفكرية والثقافية وتتكفل بنقلها وترسيخها مختلف المؤسسات الاجتماعية لتجعل منه ذاتا متحدة ومنسقة في بنيتها وتركيبها لا تعاني من أي شعور بالنقص ومتناغمة مع محيطها لا تحس بأي تنافر ولا نبذ.

ولعل هذا ما يلمح إليه الباحث في علم الاجتماع "بوحديبة" حينما يقول بأن: " مجموعة الحسب والنسب هي التي توجه شخصية الإنسان العربي وتعطي لوجوده معنى حقيقيا؛ فالثنائيات أصل–فصل، ذات–صفات، خلق–كسب، خِلق–خُلق، حسب–نسب، تمثل الحدود التي من خلالها تبنى وتقدر وتقيم شخصية الإنسان العربي ... وتحدد وفقها الأبعاد الأساسية لشخصية الإنسان والمرأة العربية". ويضيف الباحث، يمثل النسب، الانتماء والسلالة، وإننا نعرف ما يكنه العرب – سواء كانوا رجال قبائل أو رجال عائلات حضرية كبيرة – من احترام للسلالة التي جعلوا منها علما؛ وأما الحسب فيمثل كل ما يمكن أن يحسب على الفرد سواء كان فعلا محسوبا أو قيما شخصية ذاتية أو جَدارات خاصة أو نبل في الأعمال المنجزة من قبل الفرد".[1]

البعد الآخر الذي يبرز كعنصر أساسي من عناصر الشخص المغاربي هو التطلع إلى تهذيب النفس والرقي بها إلى مرتبة تجعلها تتسم بالخُلق القويم وتحظى بالاحترام والتقدير.

هذا الاحترام يرمز إليه في المنطقة المغاربية بمفهوم "النيف". وهو يعبر عن المتطلبات العلائقية التي يمليها الواقع الاجتماعي، كما يعبر في نفس الوقت عن شخصية الفرد وسلوكه وعن طبيعته الخاصة وعن توازنه المنسجم وانضباطه في المجتمع وفق القيم الخلقية المستوحاة من المرجعية الثقافية والدينية.

"فالنيف" الذي هو كناية عن الجسم وعن الوجه بالتحديد يجسد الشخص في بعده الخلقي ويرمز إلى شرف الفرد والعائلة التي ينتمي إليها والقبيلة التي ينحدر منها.[2]

---

[1] - Bouhdiba. A, Quêtes sociologiques, Cérès, Tunis, 1995, p.65.
[2] - Chebel Malek, Le corps dans la tradition au Maghreb, PUF, Paris, 1984, pp.49-50.

جامعة أبي بكر بلقايد
كلية
العلوم الإنسانية
و العلوم الإجتماعية
- 1 -

وهو يعد إلى جانب الحياء والاحتشام من المطالب الاجتماعية والخلقية المؤثرة في أفراد المجتمع التي تجبرهم على الانضباط الاجتماعي ومراقبة الذات.

فمن خلال الحياء والشرف تتحدد نظرة كل مغاربي إلى العالم، إذ أن التربية التي يتلقاها في هذا المجال ويعتبرها البعض صارمة تجعل سلوكه الفردي منسجما تماما مع المطلب الجماعي.[1] وبالتالي فهو حينما يبدي استحياءه من الغير يسعى في الغالب إلى تجنب لوم الجماعة ويتفادى كل ما يمكن أن يثير حفيظتها. والحياء لا ينحصر في تنظيم العلاقة بين الجنسين وإنما يشمل كذلك كل ما له ارتباط بالمواقف والاتجاهات التي يجب أن يتحلى بها المرء أمام كل كبير ومن هو في حاجة إلى التقدير، كما هو الشأن بالنسبة للشيوخ والآباء وحتى الإخوة الكبار.[2] فالحياء قد يصبح سمة ملازمة للشخص المغاربي بإمكانها أن تصنع منه إنسانا خجولا ومنطويا ومتحفظا، يتعذر عليه أحيانا حتى مخاطبة الوالدين.

وإذا كان الحياء يعد سمة من سمات الفرد المغاربي التي تنمي لديه نوعا من المراقبة الذاتية المستديمة، فإن الشرف يعتبر خصلة من خصال الجماعة الذي يمكنها من الدفاع على حرمة أفرادها وحماية كرامتهم. وهو الذي "يحقق لها ازدهارها ويعلي شأنها ويقيها من الانهيار والانقراض ويصون عرضها وسمعتها ويبقي لها سعادتها".[3]

ومن أجل الوصول إلى هذا الهدف فإن الجماعة لا تتوانى في اتخاذ التدابير الضرورية وتوظيف الوسائل الناجعة. وتعد التربية من هذه الوسائل التي تستعين بها في بناء الشخصية الخلقية والأداة المفضلة والمؤثرة في تكوين المنظومة القيمية. فبفضلها يتمكن الإنسان المغاربي من اكتساب كثير من المفاهيم والقيم الخلقية وبخاصة في مرحلة الطفولة المبكرة.

"يقول "إرنست ماير": "إن المنظومة القيمية التي يؤمن بها الفرد هي محصلة كل ما اكتسبه في طفولته وصباه ويساهم في صياغة مفاهيمه، وإن الأسس التي توضع في مرحلة الطفولة تبقى – في الظروف العادية– سارية المفعول مدى الحياة ... ويضيف "إن التربية الخلقية في المراحل المبكرة من العمر ... إذا أحسنت تقوي وعي كل طفل بعيوبه وإحساسه

[1] - Feraoun Mouloud, L'anniversaire, Le seuil, Paris, 1972, pp.112-113.
[2] - Bouhdiba. A, op. cit, pp. 79-96.
[3] - Berque Jacques, Les Arabes d'hier à demain, Le seuil, Paris, 1969, p.314.

جامعة أبو بكر بلقايد
كلية العلوم الإنسانية و العلوم الإجتماعية
- 1 -
تلمسان

بمسؤوليته عن محاسبة نفسه وتقويمها وتجعل سمو المقاييس الاجتماعية نبراسا له في حكمه على تصرفاته ... "[1]

كما أن طريقة التعامل مع الأبناء لها تأثير كبير على نموهم الخلقي الذي يزودهم بالحس العاطفي الذي يقيهم من الانحرافات وبخاصة عندما يكون هذا التعامل مبني على القدوة والعطف والتفاهم والاحترام المتبادل والتشجيع والحزم مع مراعاة تجنب التساهل والتسلط.[2]

فلا عجب إذن أن يوجه اهتمام الوسط المغاربي إلى هذه المرحلة لتزويد الطفل بالتعاليم والقيم التي تكفل حصانته وتصقل طبعه وتحدد أهم خصائص ذهنيته.

ففي سن التمدرس تقول "زردومي" (Zerdoumi. N, 1970) تكون التأثيرات العائلية والاجتماعية والتقليدية والتربية الدينية قد ساهمت إلى حد كبير في تحديد أهم الخصائص الذهنية الطفلية.

الأمر ذاته يشير إليه الباحث "الطوالبي" عندما يسجل بأن تربية الأطفال في البلدان المغاربية لا زالت تتم بنفس الطريقة ومن خلال نفس النماذج الثقافية التي تهدف إلى إنتاج أنماط من الشخصية حريصة على احترام المعايير الأسرية والاجتماعية وتمايز الأدوار الجنسية وتقدير المشايخ ومراعاة قانون الشرف وعدم الإخلال بالتعاليم التقليدية بسبب الحياء والخوف من المقدس الذي يظل يمثل الأساس المرجعي لكل المعايير الاجتماعية التي تنظم الحياة الاجتماعية.[3]

ورغم التحولات التي تعرفها المجتمعات المغاربية والتطورات التي تفرض على الأفراد أنماطا جديدة من السلوكات ومن القناعات، فإننا نلحظ بأن الشخصية المغاربية لا زالت تصر على التمسك بالنموذج القيمي والثقافي التقليدي، لأنه هو وحده الذي يكفل استقرارها ويحفظ لها أصالتها وتماسك وحدة هويتها ويقيها الاضطرابات الاجتماعية والثقافية والنفسية؛

---

[1]– أرنست ماير، هذا هو علم البيولوجيا، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 2002، ص ص289–290.

2– بسماء آدم، أخلاق أولادنا، النمو والمخاطر، العربي، العدد 521، أبريل، 2002، ص ص 172–173.

[3] -Toualbi. N, L'identité au Maghreb, Casbah éd, Alger, 2000, p.167.

جامعة أبو بكر بلقايد
كلية
العلوم الإنسانية
و العلوم الإجتماعية
تلمسان

لأن "التعلق بالمتعة" أو "الإباحية" قد يتوج بالصدمات،[1] أو بالقلق الذي ينتاب الضمائر المشكلة حول الحاجة الملحة للحفاظ على نقاء الذات،[2] أو ربما بسبب إخفاق المعايير الجديدة في تحقيق الطموحات وتلبية الرغبات.

ويعد كتاب "الشخصية الجزائرية: دراسة نفسية ميدانية"، من الدراسات الرائدة والمفيدة لفهم الشخصية الجزائرية من الناحية الميدانية ومن منظور نظرية السمات. حيث قام بهذه الدراسة الميدانية الصادرة عن شركة الأصالة (الجزائر 2021)، الأستاذ الدكتور مصطفى عشوي، وثمانية أساتذة من الجزائر هم الدكتور "محمد لحرش" من جامعة الجزائر "أبو القاسم سعد الله" جامعة "بوزريعة"، الأستاذة "توال بريقل" من جامعة باتنة، الدكتورة "صباح عايش" من جامعة سعيدة، والدكتور "فياض بن كرو" من جامعة بجاية، والأستاذ "عبد المولى بوشامي" من جامعة تمنراست، والدكتورة "سليمة بن حمودة" من جامعة ورقلة، والدكتورة "صبرينة سليماني" من جامعة قسنطينة، الدكتور "فارس زيد العابدين" من جامعة سيدي بلعباس.

إن كتاب "الشخصية الجزائرية: دراسة نفسية ميدانية" ليس عبارة عن ملاحظات أو تعميم قائم على أحكام ذاتية أو على بعض المراجع المحدودة، بل هو عبارة عن دراسة ميدانية شملت تسع ولايات جزائرية تم اختيارها بطريقة عشوائية من شمال وجنوب وشرق وغرب الجزائر، وقد بلغ أفراد عينة هذه الدراسة ستة ألاف شخص من ذكور وإناث ومن أعمار مختلفة، كما قامت هذه الدراسة بتطبيق مقياسا عالميا، واستبيانا من تصميم الباحثين المشاركين.

كما كان لهذه الدراسة الميدانية هدفان رئيسيان: الأول يتمثل في معرفة الصفات الأساسية للشخصية الجزائرية: الإيجابية والسلبية، للتوصل إلى وضع ملمح للشخصية الجزائرية. أما الهدف الثاني فهو رفض الأفكار والأحكام النمطية التي تعمم حول الشخصية الجزائرية دون تقديم دليل علمي على ذلك.

[1] - Bouhdiba. A, op. cit , p.91.
[2] - Toualbi. N, op. cit , p.172.

جامعة أبو بكر بلقايد
كلية
العلوم الإنسانية
و العلوم الإجتماعية
تلمسان

ويتكون هذا الكتاب من شقين: الشق الأول متعلق بدراسة قائمة على مقياس عالمي يسمى بمقياس عوامل الشخصية الخمسة الكبرى وهي: الانبساطية والطيبة ويقظة الضمير أو الوعي والعُصابية والتفتح، حيث تمت المقارنة بين فئة الذكور والإناث من خلال هذه العوامل الخمسة الكبرى، وقد كانت دراسة هذه العوامل أيضا حسب فئات السن، وحسب المستوى الدراسي وكذا حسب المهن والتخصصات.

وقد أسفرت الدراسة عن وجود فروقا بين الذكور والإناث وبين فئات السن المختلفة وبين الولايات، بمعنى أن هناك رفضا للتعميم وللأحكام النمطية القائمة على تعميم غير مدعم بالبحوث العلمية.

كما استخدمت الدراسة أداة الاستبيان لاستخراج الخصائص أو الصفات الايجابية والسلبية التي تتصف بها الشخصية الجزائرية في المناطق المختلفة. فالصفات الخمس الإيجابية الأساسية التي تتصف بها الشخصية الجزائرية هي: التعاون، الكرم، الشجاعة، الوطنية، والعفو أو المسامحة؛ وأضاف المشاركون في الدراسة صفات أخرى، لتصل إلى عشرة صفات أساسية. وقد وجدت فروقا جوهرية وذلك حسب المناطق والجنس والمستوى الدراسي عند الطلاب وغيرها من المتغيرات. وتتمثل الصفات الخمسة الإضافية في عزة النفس، التدين، المحبة، الطيبة، الروح الاجتماعية.

وفيما يخص الصفات السلبية الأساسية فهي: النرفزة، الكسل، العنف، العدوانية، الأنانية والكذب، ويأتي بعد ذلك: عدم احترام الوعود والمواعيد، اللامبالاة، التسرع، الغيبة والنميمة، والحقد.

وقد وُجدت أيضا فروقا جوهرية بين المناطق في هذه الصفات سواء أكانت إيجابية أم سلبية وذلك حسب العوامل الجغرافية والتاريخية، وكذا الثقافية المتعلقة بالأعراف والتقاليد.

ولقد اتسمت النتائج التي أفضت إليها هذه الدراسة بالموضوعية والصدق والتبصر، حيث أجمل الباحثون موقفهم عنها ببوح اعترافي ورد في آخر السطور التي كتبوها، مؤداه:

جامعة أبو بكر بلقايد
كلية
العلوم الإنسانية
و العلوم الإجتماعية
تلمسان

"رغم كل التحديات التي واجهتنا في هذا البحث، وأوجه القصور الموجودة فيه، ورغم وجود احتمال ما يسمى خطأ "الرغبة الاجتماعية" في إجابات بعض المشاركين في الدراسة، فإننا نعتقد أن هذا البحث يفتح المجال واسعا لطرح أسئلة جديدة وجدية، ولبلورة فرضيات أكثر دقة في موضوع "الشخصية" بصفة عامة وفي مجال فهم "الشخصية" الجزائرية بصفة خاصة. ونعتقد أيضا أن هذا البحث الاستطلاعي يمهد الطريق أمام الباحثين الجزائريين وغيرهم لإجراء بحوث أكثر عمقا ودقة وصدقا في مجال فهم "الشخصية" الجزائرية في إطارها التاريخي والجغرافي والثقافي والنفسي دون إهمال أو إغفال الجانب الوراثي".

خاتمة:

مما سبق من آراء الأنثروبولوجيين، فإنهم يعطون للثقافة الأولوية باعتبارها الوعاء الذي ينتج أنماط الشخصيات، وانطلاقا من هنا يتأكّد أن الاتجاه الأنثروبولوجي يبيّن أن شخصية الفرد تتوقف على نوعية المجتمع والثقافة التي يترعرع داخلها.

فكل ثقافة تطبع سلوكيات أفرادها ومواقفهم وعاداتهم وطرق تفكيرهم، وذلك بواسطة التنشئة الاجتماعية، فهي التي تكسب الأفراد نماذج القيم والتصورات والاستجابات التي تساير متطلبات الثقافة التي ينتمي إليها كل فرد، وهكذا يستوعب الفرد عناصر الثقافة الاجتماعية لتصبح جزءا من محدّدات الشخصية، كما تحقق تكيّفه مع محيطه الاجتماعي، وتحدّد انتمائه إليه بتوفير شروط تكيّفه البيولوجي والنّفسي والذّهني.

كما نستخلص من كل هذه التعاريف والنظريات أن الشخصية هي وحدة ذات تنظيم معقّد ومتكامل وديناميّ لمجموع من الصفات الجسمية والعقلية والمزاجية والأخلاقية والاجتماعية للفرد والتي قد تميّزه عن غيره من الأفراد، أمّا نمو هذه الشخصية وتطورها ونضجها فإنه يخضع لعمليات ارتقائية تنسجم ومراحل النضج العضوي والعقلي والانفعالي والاجتماعي الذي يصاحب الإنسان وفقا لمتطلبات المجتمع من خلال مراحل عملية التنشئة الاجتماعية والتّطبع الاجتماعي.

المجلس العلمي
كلية العلوم الإنسانية و العلوم الإجتماعية
جامعة أبي بكر بلقايد - تلمسان
جامعة أبو بكر بلقايد
كلية العلوم الإنسانية و العلوم الإجتماعية
- 1 -
تلمسان

قائمة المراجع:

أولا: المراجع العربية:

- ابراهيم أقديم ومصطفى أعفير، اللغة والثقافة: رهانات المغرب الحديث، أعمال الندوة التكريمية للأستاذ العميد محمد الشاد، يوم 30-31 مارس 01 أبريل2006، منشورات ك .أع .إ ظهر المهراز فاس، سلسلة الندوات التكريمية.
- ابراهيم ناصر، الأنثروبولوجيا الثقافية – علم الإنسان الثقافي، عمان، الأردن، 1985.
- ابن منظور، لسان العرب المحيط، دراسات بيروت للطباعة والنشر، ط1، بيروت، 1986.
- ابن منظور، "لسان العرب"، تحقيق :عبد الله علي الكبير، محمد أحمد حسب الله، هشام محمد الشاذلي، دار المعارف، كرنيش النيل، القاهرة، 1119.
- أحمد أبو زيد، البناء الاجتماعي: مدخل لدراسة المجتمع، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1980.
- أحمد أبو زيد، البناء الاجتماعي، مدخل لدراسة المجتمع، الجزء الأول، المفهومات، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1965.
- أحمد أبو زيد، محاضرات في الأنثروبولوجيا الثقافية، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، 1978.
- أحمد أبو زيد، هوية الثقافة العربية، الهيئة العامة لقصور الثقافة، مصر، 2004.
- أحمد زكي بدوي، معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، مكتبة لبنان، بيروت، 1977.
- أحمد لبيب النجيحي، الأسس الاجتماعية للتربية، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1965.
- أحمد محمد عبد الخالق، الأبعاد الأساسية للشخصية، دار المعارف الجامعية، مصر، 1996.
- السيد حافظ الأسود، الثقافة الإنسانية: طبيعتها خصائصها وأنماطها ضمن علم الإنسان، مدخل عام، دار القلم، دبي، الامارات العربية، 1995.
- السيد عبد العاطي السيد، المجتمع والثقافة والشخصية، دار المعرفة الجامعية، مصر، 1999.

جامعة أبو بكر بلقايد
كلية العلوم الإنسانية و العلوم الإجتماعية
- 1 -
كلية العلوم الإنسانية و العلوم الإجتماعية
المجلس العلمي
جامعة أبي بكر بلقايد - تلمسان

- الشماس، عيسى، مدخل إلى علم الإنسان الأنثروبولوجيا، طبعة الكترونية، موقع إتحاد العرب، 2004،

- الشيخ كامل محمد عويضة، علم النفس الشخصية، دار الكتب العلمية، لبنان، ط1، 1996.

- المؤلف مجهول، الشخصية والذكاء، سلسلة معارف الإنسان، نقلا عن ثريا التيجاني، دراسة اجتماعية لغوية للقصة الشعبية في منطقة الجنوب الجزائري، وادي سوف نموذجا، دار هومة، د ط، د ت.

- أنطوني غيدنز، علم الاجتماع"، ترجمة: فايز الصياغ، المنظمة العبية للترجمة، مكز دراسات الوحدة العربية، ط4، بيروت، 2005.

- أنور الجرابة، الثقافة النفسية، دار الهدى، بيروت، 1991.

- إيكه هولتكرانس، قاموس الإثنولوجيا والفلكلور، ترجمة الدكتور محمد الجوهري والدكتور حسن الشامي، دار المعارف بمصر، ط2، 1973.

- ب. ف. سكينر: تكنولوجيا السلوك الإنساني، ترجمة: عبد القادر يوسف، عالم المعرفة 32، الكويت، 1980.

- حامد عبد السلام زهران، الشخصية والقيادة، دار الشروق، بدون طبعة، 1987.

- حسن شحاته سعفان، علم الإنسان (الأنثروبولوجيا)، مكتبة العرفان، بيروت، 1966.

- حسين عبد الحميد أحمد رشوان، الثقافة: دراسة في علم الاجتماع الثقافي، نشر مؤسسة شباب الجامعة، جامعة، الإسكندرية، 2006.

- دنيس كوش، مفهوم الثقافة في العلوم الاجتماعية، ترجمة: منير السعيداني، مراجعة: الطاهر لبيب، نشر المنظمة العربية للترجمة، ط1، بيروت 2007.

- رالف لنتون، دراسة الإنسان، ترجمة عبد الملك الناشف، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، 1964.

- سامية حسن الساعاتي، الثقافة والشخصية: بحث في علم الاجتماع الثقافي، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، 1991.

- سامية محمد جابر، علم الإنسان: مدخل إلى علم الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية، دار العلوم العربية، بيروت، لبنان، 1991.

كلية العلوم الإنسانية و العلوم الإجتماعية -1- تلمسان
المجلس العلمي

- سامية، شويعل، الخصائص السيكو-اجتماعية للأمهات العازبات اللواتي يحتفظن بأطفالهن، رسالة ماجستير في علم النفس العيادي، السنة الجامعية 1993- 1994
- سلمان عبد الواحد، مبادئ علم النفس العام، مؤسسة طيبة، القاهرة، ط 1، 2011.
- شارلوت سيمور شميث، موسوعة علم الإنسان: "المفاهيم والمصطلحات والأنثروبولوجية"، ترجمة: مجموعة من الأساتذة في علم الاجتماع، بإشراف محمد الجوهري، القاهرة 2008.
- صالح محمد على أبو جادو، علم النفس التطوري، دار الميسرة للنشر والتوزيع والطباعة، الأردن، ط2، 2007.
- عاطف أمين وصكي، الثقافة والشخصية، ط2، دار المعارف بمصر، القاهرة، 1977.
- عاطف وصفي، الثقافة والشخصيةّ، دار المعارف، مصر، 1977.
- عبد الغاني عماد، سوسيولوجيا الثقافة: المفاهيم والإشكاليات، من الحداثة إلى العولمة، مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، بيروت، 2006.
- عبد الله الرشدان، علم اجتماع التربية، دار الشروق والنشر والتوزيع، الأردن، 1999.
- عبد المنعم الحفني، موسوعة علم النفس والتحليل النفسي، مكتبة مدبولي، دار العودة، بيروت، 1978.
- عثمان فراح وعبد السلام عبد الغفار، الشخصية وعلم النفس الاجتماعي، دار النهضة العربية، القاهرة، 1077.
- فاروق أحمد مصطفى ومحمد عباس إبراهيم، الأنثروبولوجيا الثقافية والإعلام، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 2007.
- قباري محمد اسماعيل، علم الاجتماع الثقافي ومشكلات الشخصية في البناء الاجتماعي، الاسكندرية، منشأة المعارف، 1982.
- قباري محمد إسماعيل، مناهج البحث في علم الاجتماع التربوي، مواقف واتجاهات معاصرة، المعارف، الاسكندرية، 1982.
- كمال دسوقي، الاجتماع ودراسة المجتمع، مكتبة الأنجلو- المصرية، القاهرة، 1976.
- لا بلانش وبو طاليس، معجم مصطلحات التحليل النفسي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د. ت.
- لاز اروس ريتشارد، الشخصية، ديوان المطبوعات الجزائرية، الجزائر، 1971.

المجلس العلمي
كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإجتماعية

- مالك بن نبي، "مشكلات حضارية: مشكلة الثقافة"، ترجمة: عبد الصبور شاهين، دار الفكر المعاصر، ط4، بيروت، 2000.
- مجمع اللغة العربية، المعجم الوجيز، د. ط، د. ت، ص 336.
- محمد الجوهري، المدخل إلى علم الاجتماع، كلية الآداب، ط2، القاهرة، 2007.
- محمد الدقس، التغير الاجتماعي بين النظرية والتطبيق، دار مجدلاوي، ط1، 1987.
- محمد السويدي، مفاهيم علم الاجتماع الثقافي ومصطلحاته، ط1، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1991.
- محمد حسن علاوي، علم النفس الرياضي، دار المعارف، مصر، ط8، 1992.
- محمد رياض، الإنسان – دراسة في النوع والحضارة– دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، ط2، 1974.
- مصطفى عمر حمادة، علم الإنسان: مدخل لدراسة المجتمع والثقافة، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 2007.
- مليجي حلمي، علم النفس الشخصية، دار النهضة العربية، بيروت، 2001.
- ناصر الحجيلات، العلاقة بين الثقافة والشخصية، مقال في طبعة إلكترونية.
- نعيم الرفاعي، شخصية المعلم، دار الشروق، بدون طبعة، 1997.
- وطفة علي أسعد، بنية السلطة وإشكالية التسلّط التربوي في الوطن العربي، ص 68، نقلا عن: محمد مصطفى زيدان، ونبيل السمالوطي، علم النّفس التربوي، دار الشروق، جدة، 1985.
- ونفيرد هوبر، مدخل إلى سيكولوجية الشخصية، ترجمة: مصطفى العشوي، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، 1995.
- يوسف مراد، مبادئ علم النفس العام، ط1، دار المعارف، مصر، 1948.

ثانيا: المراجع الأجنبية:

- Cuche (Denys), La notion de culture dans les sciences sociales, Alger, Casbah, Edition, 1998.
- Edward Sapir, Anthropologie ; Traduction de l'américain par Christian Baudelot et Pierre Clinquart, Paris, Ed. de Minuit, 1971.

المجلس العلمي
كلية العلوم الإنسانية و العلوم الاجتماعية
جامعة أبو بكر بلقايد - تلمسان
كلية العلوم الإنسانية و العلوم الاجتماعية
تلمسان

- Hammond P. B. an Introduction to cultural and Social Anthropology's Collier Macmillan P. London 1971.
- Jean Claude Filloux, La personnalité-Edition Delta PUF. Que sais je, 1957.
- Linton, Ralph, le fondement culturel de la personnalité, paris, dunod, 1999.
- Malinowski, B, « The Father in Primitive Psychology ». New York, 1927.
- Malinowski, B, Sex and Repression in Savage Society, Routledge and Kegan Paul, London, 1953.
- Ogburn and Nimkoff, Sociology, New York, Houghton Mifflin, 1946.
- Salvador Giner: Initiation à l'intelligence sociologique, traduit de l'Espagnole par Thérèse Jerphagnon, éditions Privat, 1970.
- W. Haviland, Cultural Anthropology, wadsworth U ;S ;A .